دمية محطمة..

دلال أحمد الدلال

هذه أنا..

مـا بـين وبـين علـى مـسرح العـرائس..مازلـت أقـف مكاني..أؤدي العرض باقتدار وتفاني..أضواء مُبهرة تخفي دموعي كلَّمـا انحنيـت مُتألمـة..تجـذب خيـوطي خـيط حريـري مُثبَّـت بقلبي..يؤلمني..

ترخي الخيوط وتجذبها دون علمي..بعيد أنت يجمعنا خيط وهمي..لا صوت لي ولا حق للكلام فأنت لا تراني..تتكلم أنت عني تُعبر عني ولا تشعر بآلامي..

هل سمعت يومًا دقات قلبي وأنَّاتي؟

حينما أتراقص بقوة جذبك لخيطاني..تعبت، مللت كوني دمية بدون كلماتِ أُعلن أمام الجميع بانتهاء عروضي ورقصاتي

كان عرضي الأخير حينما قررت بعادي.

مزَّقت أغلالك الحريرية وأنهيت حياتي..دمية أناعشت بدون صوت..وانتهت حياتي بصرخاتٍ كل حياتي معك.

ما بين وبين..راقصة " باليه " ترقص على حبل البهلوان

أخاف السقوط ولا أشعر بالأمان..رقص إجباري على قدم واحدة..أخاف السقوط مجبرة أنا تمر السنين وأنا أقف فوق حدالسكين..لا أموت ولا أعيش أتراقص كعصفور مذبوح..على سياط قسوتك..ينحني ولا يسقط بل تسقط دماؤه على سوطك..

ثم تعود تُدللني فأستقم كزهرة عصفور الجنة تقف في شموخ على قدم واحدة..كل حياتي معك ما بين وبين..

تعلَّمت على يديك ترويض الوحوش وتدليل القطط..

تعلَّمت كيف أروض الوحش بداخلك..

تعلَّمت كيف أقود معاركي معك على صهوة كبريائي..

تعلَّمت ألا أفرط قي لقب المنتصر..

سألني ماذا تحبي أن تكوني؟

قلت له: فراشة.

: الفراشات ما أجملها لكن إلى النار نهايتها!!

: يكفيني ساعات أعيش سعيدة.

: أتتركين منصبكِ كأميرة تتنصلي؟!

: عرش ثابت أفضل أم فراشة تنتقل؟!

قيودي أدمت معصمي كرهتها تمنيتها أجنحة

يكفيني ساعات أعيشها مُحلِّقة طائرة

قال: الفراشة مع أول رياح قوية تموت.

قلت:وهل أنا على قيد الحياة كي أموت؟!!

دلال أحمد الدلال

مروة عبد الصادق

دمية محطمة

بعد أن عدنا من رحلة شهر العسل؛ التي كانت أسبوع بشرم الشيخ، رفض (عمَّار) أن نذهب (للفيلا)؛ التي ورثتها عن أبي وصمَّم أن أُغلقها، بعد أن قام الخدم بتنظيفها وتغطية الأثاث، تسلَّمت المفاتيح وودعتهم وانتقلت لشقة (عمَّار) الصغيرة، ورغم أن إمكانيات (عمَّار) قليلة إلا أنه لم يرض أن أشارك معه بأقل النفقات، مرَّت خمسة أشهر من العسل بسرعة وكانت من أجمل أيام حياتي، شعرت فيها أنني أحسنت الاختيار(فعمَّار) إنسان رائع جعلني أشعر بالسعادة؛ التي افتقدتها لسنوات، وملأ الفراغ الذي تركه والدي بقلبي هذا الفراغ الذي جعلني أتخبَّط كثيرًا في تصرفاتي مما أغضب صديقاتي مني حتى أن الكثيرات ابتعدن عني، ربما لأنني شعرت بالوحدة فجأة وفقدان الدرع الذي أختبئ خلفه في كل معارك حياتي؛ كان الأب وكان السند؛ كان كل شيء في حياتي لم يبخل عليَّ يومًا بشيء وكأنني كنت أمتلك عصا سحرية أو مصباح علاء الدين.

ااااه يا أبي تركتني وتركت ثروة كبيرة لفتاة لم تتعلم كيف

تُدير أمور نفسها؛ مابالك بثروة طائلة وفتاة تعوَّدت على التدليل، لا أعرف لماذا تمرَّ عليَّ الذكريات وكأنها فيلم سينمائي، أراه بعينيَّ يمر أمامي ولا أستطيع تجاوز شاشته والدخول إليه لأستعيد وجودي بتلك الذكريات، وأقف مشاهدة لها من بعيد أراها على كل شيء حتى على جدران شقتي الصغيرة ينتابني معها صداع شديد؛ أؤكد لنفسي أنه صداع الفقد، افتقادي لأبي و(للفيلا)؛ التي تربَّيت بها ولصديقاتي اللاتي هجرنني ولم تحضر زفافي إحداهن، ولم تزورني واحدة منهن ولكني لم أشأ تعكير صفو حياتي مع (عمَّار)؛ لديَّ شعور أنه الوحيد الباقي إلى جواري وكأنه فرصتي الوحيدة لإيجاد بديل لحنان أبي، حتى أنه أصبح محور حياتي، تقوقعت بداخله كناسك يبحث عن الأمان بصدفته.

دلَّلني كثيرًا فهو يعلم أنني عشت تلك الحياة المدللة عمرًا بأكمله، فلم يُجبرني على دخول المطبخ كل تلك الشهور السابقة ولا أعلم من أين يأتي بتلك الأموال ليُخرجني كل يوم للتنزه وتناول الطعام بأفخر المطاعم بالرغم من عودتنا للشقة الصغيرة بعد أسبوع واحد من شهر العسل.

ولكني لم أشأ إحراجه بسؤالي فكرامته تفوق حبه لي فهو رجل بكل معاني تلك الكلمة، ولكني قررت أن أتقمص دور ربة

البيت الذي لم أعهده؛ دخلت المطبخ وأحضرت الخضار واللحم، وضعت اللحم على النار، وبدأت في إعداد الخضار فسمعت صوت (عمَّار) يأتي من الخارج، انطلقت مسرعة وأنا أحل مريلة المطبخ من على خصري لأرد على حبيبي، ولكني لم أجده تعجَّبت لقد سمعت صوته!!، إذن هي تهيؤات، ولكن ما هذا كل النوافذ مفتوحة أنا متأكدة أني أغلقتها قبل دخولي المطبخ أو....، أو قد أكون نسيت!!أسرعت أغلقها وأنا مشوشة لا أعرف سبب فتحها، دخلت المطبخ نظرت بالقدر فلم أجد اللحم، القدر به الماء يغلي واللحم على الطاولة!!كيف حدث ذلك؟؟شعرت برهبة ولكني كذبت نفسي وغسلت اللحم ووضعته بالقدر وعدت لتنظيف الخضار، فسمعت صوت مثل صوتي يناديني، شعرت بخوف شديد وبدأ قلبي يدق، أسرعت لالتقاط الهاتف من فوق الطاولة وطلبت (عمَّار):(عمَّار) أنا خائفة متى ستعود؟

:حبيبتي مما تخافي أنا مازلت بالعمل ومازال النهار في منتصفه، لا تخافي شيء لن أتأخر..

عدت أستجمع شجاعتي وخرجت أبحث عن شاحن الهاتف لكن!..ما هذا؟النوافذ كلها مفتوحة وهناك صوت صادر من غرفتي وكأنه فحيح؛ الصوت ينادي (ليلى؛ (ليلى)ثم ساد

الصمت وأنا واقفة بمنتصف الشقة أنظر حولي وكل ما فيَّ ينتفض، وقلبي يدق دقات عنيفة ولا أستطيع التحكم بدموعي استجمعت قواي وفتحت باب غرفتي لأجد شيء جعلني أصرخ!

سقطت على الأرض وغبت عن الوعي ولم أفق إلا و(عمَّار) ينثر قطرات من العطرعلى وجهي وأنا ممددة على الفراش، نظرت حولي ويداي مقبوضتان على(الملاية) ثم صرخت وأنا أردد لا؛ لا..وقفزت من فوق السرير وأنا أنظر لموضع جسدي عليه وأشير بنظرات متفحصة وعينين مفتوحتين بلا رمشة واحدة وزوجي ينظر إليَّ بذهول وأنا أقول: دميتي؛ دميتي المفضلة كانت هنا وسكين مغروس بقلبها والدماء تملأ الفراش أين هي؟ ماذا حدث؟

هذه الدمية لم أحضرها معي تركتها بالفيلا؛ الفراش نظيف! ثم أجهشت بالبكاء فجذبني (عمَّار)برفق وأجلسني إلى جواره وأخذ يُهدِّأ من روعي ويقول:لا تخافي لقد دخلت منذ خمس دقائق ولم أرى شيئًا مما قلت عنه، لقد وجدتكِ ملقاة على الأرض مُغشى عليكِ ولم أعرف السبب، نظرت بالساعة لقد مرَّت ساعة كاملة منذ دخلت الغرفة، أسرعت نحو المطبخ وأنا

أصرخ اللحم على النار لابد وأنه احترق و(عمَّار) يجري خلفي ثم وقفت بلا حراك حينما لم أجد القدر على النار واللحم النيء مازال بالبراد حتى الخضار لم يخرج من الأكياس.

جلست على الكرسي واضعة مرفقي على المنضدة ساندة وجهي على كفي وأنا أبكي وأردد لقد جننت؛ لقد جننت!!

ضمَّني (عمار) لصدره وقال: ماذا بكِ؟ ماذا حدث؟سردت له كل ما حدث في غيابه فقال:أعتقد أنكِ تتخيلي هذه الأشياء فمازال المنزل غريب عليكِ أنا جائع وبما أن زوجتي الحبيبة لم تطهو الطعام اليوم سأحضر لنا وجبة خفيفة لا تتحركي، وبدأ يُخرج من (الثلاجة) بعض الأطعمة الخفيفة والخبز ولم ينسى أن يُفرغ لي كوب من عصير البرتقال؛ الذي أحبه ويكرهه هو، دخلنا بعدها لغرفة نومنا مرة أخرى وأصرَّ أن يساعدني في استبدال ملابسي بملابس النوم المريحة.

اتجه للخزانة ليفتح بابها ولكنه وجد شيئًا غريب فالماء يسيل من الأدراج السفلية فتحها فوجد الملابس مطوية وهي مُبللة، سألني ألم تجففيها وتنشريها على الحبل؟!: قلت الملابس مازالت (بالغسالة) أنا لم أُخرجها، جريت نحو المطبخ فلم أجد الملابس

(بالغسالة)، عدت وأنا أؤكد له أنني لم أُخرجها من (الغسالة) ولم أضعها بالادراج مُبللة فهذا جنون!!!صممت أن أترك هذه الشقة ولن أعود لها مهما حدث، ذهبنا في اليوم التالي (للفيلا) دخلت غرفتي لأجد دميتي مازالت بمكانها لكنني لم أستطع لمسها وخلدت للنوم، بعد أن تركني (عمَّار) وذهب للعمل.

شعرت بيد تتسلل تحت الغطاء وتلمس ساقي، انتفضت وجذبت ساقي وجلست وأنا أضم ركبتي لصدري وأنظر حولي بنظرات مجنونة وأنا مترقبة وجود شخص بالمكان يتبعني وبدأت أسمع صوتها من جديد، بدا واضحًا؛ نعم نفس الصوت، إنها أنا تُناديني؛ الصوت صوتي بنفس النبرة وكأنه آت من مكان بعيييد، سرت خلف الصوت وأنا أسمع أنفاسها ونار تشتعل بظهري، (الفيلا) مظلمة والستائر مسدلة والأثاث مغطى بالمفارش البيضاء وكأنها أشباح تسكن المكان، أضأت المصابيح فإذا بي أجد خيالي يتوسط الحائط ويُشير إليَّ، ثم بدأت تتضح ملامحه شيئًا فشيئًا لأتأكد أنها أنا؛ نعم أنا..بالتأكيد هذه هلاوس.

صوتي وصورتي تتبعاني أينما ذهبت هذا شيء غريب قلبي يدق بعنف وجسدي بارد يرتجف مشيت مسلوبة الإرادة، أترنح

وكأنني ثملة أسير بصعوبة نحو الحمام، أرى كل شيء يهتز ويفقد مكانه والصداع يكاد يُفجر رأسي وهناك يد تُحيط برأسي بقوة وكأنها حبة حنطة بين الرحى، دخلت الحمام لأرشق وجهي بالماء لعلي أستفيق وأبحث عن حبوب لتخفيف ألم الصداع، فتحت الصنبور فاندفع الماء، رشقت وجهي ببعض منه ورفعت رأسي لأنظر بالمرآة، وفجأة انتفضت وعدت بجسدي للخلف وكأني أريد الفرار، ياللعجب لم أكن أنا تلك المرأة التي بالمرآة، إنها امرأة أخرى مرعبة تبدو قبيحة، تشهر في وجهي خنجر وكأنها جاءت من عالم الأموات لتتحداني، استدرت لأهرب منها لكن المرأة بادرتني بالحديث.

قالت بصوت مخيف له صدى:لِمَا تهربين مني؟وأنا أنتِ!، انظري جيدًا ماذا فعلتِ بنفسكِ تحولتِ لمجرمة بدون قلب، تعبت منكِ ومن مرورِكِ على أجساد صديقاتك بعد أن دمرتي كلًا منهن، وأخذتِ حبيبها كما كنتِ تفعلين بألعابكِ وأنتِ صغيرة، أتتذكري تلك الدمى التي كنت تمزقيها وتلقي بها بسلة المهملات ليأتي لك أباك بغيرها؛ اليوم جئت لأتخلص منكِ وسأدع لكِ تلك المهمة، هيا اقتلي نفسك تخلصي من ذنوبك حرري نفسك من

الخطايا، أعيدي نفسك القديمة الطاهرة، هيا اقتلي نفسك، اقتليني، اقتليني كانت تتكلم وتضحك وتصرخ بآن واحد تردد صوتها بكل أنحاء المنزل بينما أضع يدي على أذني لم أعد قادرة على سماع صوتها العالي المخيف.

جريت إلى غرفتي وهي مازالت تدفعني من الخلف بلهيب يشعل ظهري يؤكد لي أنها شيطان أو ربما جان سكن القصر بعد أن هجرناه خمسة أشهر، صفقت الباب خلفي بقوة، فلم أعد أسمع صوتها المخيف حتى إحساسي بالنار لم أعد أشعر به، ولكن دموعي مازالت تهطل كغيث بلا توقف، أسرعت نحو هاتفي ويداي ترتجفان، سقط الهاتف على الأرض، عندما سمعت دقات على باب الغرفة يليها نداء منها، نعم نداء من تلك الجنية التي تدَّعي أنها أنا، يجيء صوتها من خلف الباب فيشبه الفحيح وكأنها أفعى تحاول التسلل من تحت الباب وعيناي مصلوبتان على الباب وكلي يرتجف، التقطت الهاتف وأنا أصرخ بصوت مكتوم لا يسمعه غيري، ولكني حاولت تمالك نفسي لأتصل (بعمَّار) ودموعي تحول بين رؤيتي للأسماء على الهاتف.

وبعد محاولات لطلبه ردَّ عليَّ فأخبرته أن بالبيت جان

يتبعني أينما ذهبت، حاول تهدئتي لكنني صرخت فيه لا تطلب مني أن أهدأ فقط تعالى وبسرعة فلم أعد أستطيع التماسك أكثر من ذلك، وأنهيت المكالمة برجاء أن لا يتأخر ومازالت عيناي مصلوبتان على الباب ولم يتوقف الدق ولا الفحيح، وفجأة رأيت شيءً ما يتسلل من أسفل الباب وكأنه دخان أبيض، مالبث أن تجسد أمامي على هيئة فتاة ملامحها مشوشة، صرخت وجريت نحو الباب لكني لم أستطع فتحه وعادت النار تسكن ظهري وبدأت ملامح الفتاه في الوضوح، حتى ملابسها أشعر أنني أعرفها، سكت الفحيح وأصبحنا في مواجهة بعض، ساد هدوء للحظات وهي تنظر إليَّ وأنا أنظر إليها وكأنني أنظر بمرآة فهي أنا!!، لم تعد تلك الفتاة المشوهة بل أنا، وهذه ملابسي نعم نفس الثوب الذي أرتديه، ولكن لم يكن بيننا أي حاجز زجاجي لقد كانت حقيقة ولكنها تبتسم لي ودموعها تتساقط بلا انقطاع وكأنها تُشفق عليَّ، ثم هدأت النار بظهري وتبدلت بهواء خفيف يأتي من النافذة التي فُتحت وحدها فجأة وبدأ الهواء يراقص الستارة المسدلة خلفها.

قلت لها: أنا تعبت؛ أرجوكِ اخبريني من أنتِ إنك تُشبهيني كثيرًا من أنتِ؟، تكلمت بصوتي، وبدا واضحًا وهادئ:أنا أنتِ؛

نعم أنا أنتِ أو ممكن أن تُلقبيني بضميركِ، ضميركِ الذي مازال حيًا ويريد منكِ تطهير ماضيكِ قلت لكِ اقتلي نفسك فلم تقدري وضعفت، أنا أعرف أنكِ إنسانة ضعيفة ولكن لماذا لم تكوني ضعيفة وأنتِ تسرقي خطيب صديقتكِ سلوى وتتدللي أمامه وبنظراتكِ تُثيري رغبته فيكِ، أتتذكري كيف عدى خلفك يلهث يتمنى رضاك وعندما ترك خطيبته وجاء إليكِ متوسلًا تركتيه ورفضتِ الارتباط به، وكررت ألاعيبك بأزواج صديقاتكِ، أتتذكرى(نجوى) و(شيماء) و(رحاب) وغيرهن كلما وقع رجل بشباكك تخليتِ عنه وقتلتيه بهجرك وفي النهاية تدمري حياته وحياة صديقتك، عرفت الآن لم تركتكِ صديقاتك وفررن منك، كلٌ منهن كانت تخشى على زوجها أو خطيبها حتى وقع (عمَّار) في شركك وكانت زوجته صديقة جديدة لكِ، ربما لم تكن تعرف ألاعيبكِ فاعطتكِ الأمان، وربما توسمت فيكِ الصديقة الوفية لتتركك بجوار زوجها ليساعدك في إدارة أعمالك بعد موت والدك فوقع بعش العنكبوت، وأفرغتِ عليه من سمك لتشلي حركته ويسقط بين خيوطك ويترك زوجته؛ التي عاش معها سنوات حياته ويطلقها ليرضي أنثى العنكبوت.

وتزوجتيه ربما أقنعك بنفسه أو أنك تعبت من اللعبة وفكرت في فترة هدنة تعودي بعدها للهو بالدمى، ألم تشعري يومًا بالذنب تجاه زوجته وابنه الصغير، ألم تشعري بالذنب وأنتِ تطلبي منه أن يطلِّق زوجته ولا يرى ابنه، مرَّت خمسة أشهر وهو إلى جوارِكِ يُدللكِ وأنتِ كسرتِ قلب زوجته كما كسرت ألعابك تحت أقدامك ومشيت عليها حتى أنكِ لم تتخيلي يومًا بكاء الزوجة والطفل ولم تسمعي صوت الألم تحت قدميكِ، وبدأ صوتها يعلو وأنا مازلت مُسمرة أمامها وجسدي مُخشب مُلاصق لباب الغرفة، وعادت لتضحك وتصرخ وتقول اقتلي نفسكِ، حرري ضميركِ، طهري جسدكِ اقتلي نفسك اقتلي نفسك اقتلي نفسك، وعاد صوتها يتردد بصدى في كل أنحاء الغرفة وأنا أحاول فتح الباب ولكني لم أستطع، وفجأة دخلت رياح قوية من النافذة كسرت الزجاج وأسقطت دميتي على الأرض فتحطمت، جثوت على ركبتي أجمع أشلاؤها ففُتح الباب وحده على مصراعيه وسقط مقبضه على الأرض، وكأنما انتزعها مارد، تركت بقايا الدمية وجريت وأنا أرتجف والنار بظهري عادت تستعر وكأن هذه المرأة خلفي تدفعني نحو المطبخ وأنا أقع ثم أقف ثم أقع وأعود لأقف وأعاود الجري من جديد.

لا أعرف كيف نزلت الدرج وكيف وصلت للمطبخ وأنا أخشى النظر خلفي وصراخي يختلط بصراخها وضحكاتها حتى دخلت المطبخ وأخذت سكين وحاولت قتل نفسي لم أكن أنا!!إنها هي تدفعني وأنا مأمورة بصوتها الذي يردد اقتليني اقتليني، وأنا أصرخ أريد أن أتخلص منكِ ابتعدي عني تعبت منكِ تعبت منكِ سأقتلك لأستريح؛ حتى دخل (عمَّار) على صوت صراخي وضمني من الخلف وأخذ السكين وأخذ يهدئ من روعي بينما يقف الطبيب النفسي بالباب ومعه مساعديه بقميص مفتوح من الخلف، ألبساني إياه وأنا أصرخ وزوجي يبكي لحالي حتى دخلت سيارة الإسعاف وأنا لا أصدق كل ما حدث هل حقًا أنا مجنونة؟ وهل كل ما ذكرته كان خيال بعقلي المريض ورفعت رأسي لألقي آخر نظرة على الفيلا المسكونة وإذا بها خلف ستار النافذة المكسورة تلوح لي وتبتسم تلك الابتسامة المجنونة وكأنها انتصرت عليَّ وسقط درعي الأخير؛ صمت.

صمت للأبد.....

صعد زوجها لغرفتها ليُخفي أقراص الهلوسة؛ التي داوم على إعطائها إياها لمدة خمسة أشهر حتى وصلت لتلك الحالة،

فظهرت زوجته من خلف ستارة النافذة وعلى وجهها ابتسامة المنتصرة وهي مازلت تلبس الثوب المشابه لثوب (ليلى) ففتح ذراعيه لها لترتمي بأحضانه، وهي تتمتم لو كنت مكانها كنت مت بأزمة قلبية بعد كل ما فعلناه بها ضمها بقوة ونظر لعينيها وقال: (بعد الشر) عنكِ حبيبتي، أنا لم أحب غيركِ ولكنها خطتك أنتِ منذ سمعت عن حكايات الفتاة المدللة والرجال والثروة التي حلمنا بها سويًا، حبيبتي كل شيء على ما يرام، أتممت ما اتفقنا عليه، أنا أعلم أنه لم يتبق من ثمن مجوهراتها التي بدَّلتها بأخرى مزيفة وبعتها سوى القليل ولكن لا تخافي ستصبح كل أملاكها من حقنا عما قريب وسنعود زوجان سعيدان وتعالت ضحكاتهما.

و أهو ده اللي صار!